XI.- SECCION EN ÁRABE

6- لوندن ، "العلاقات الزراعية في سبأ " تر : أبو بكر السقاف ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء ، ع2 ، 1979 .

7- هيلي ، جون ، "الأنباط ومدائن صالح" ، مجلة أطلال ، الرياض ، ع10، 1986 ، ص135-144 .

المصادر العربية والأجنبية

المصادر العربية

1- باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في التاريخ العراقي القديم ، ط2 ، ج1 ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1955 .

2- جواد ، علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط1 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1971 .

3- تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد الرابطة للطبع والنشر 1953 .

4- رودو كناكيس ، الفصل الثالث من تاريخ العرب القديم ، نلسون دتيلف ، تر : فؤاد حسنين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1959 .

5- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت وزارة الإعلام ، 1969 .

6- عباس إحسان ، تاريخ دولة الأنباط ، ط1 ، عمان ، دار الشروق 1987 .

7- م.ب بيوتروفسكي ، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، تع : محمد الشعبي ط1 ، بيروت ، دار العودة ، 1987 .

8- المحيسن زيدون ، البتراء مدينة العرب الخالدة ، عمان ، وزارة الشباب ، 1996 .

9- موسل . أ، شمال الحجاز ، تر: عبد المحسن الحسيني ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعة ، 1988 .

دوريات عربية

1- إيفناري وكولر ، "أساطير الصحراء" ، تر:عبد الكريم الخضيري ، مجلة الزراعة العراقية ، بغداد ، 1956 .

2- البكر ، منذر ، "ايمبولس الكاتب العربي الطوبائي" ، مجلة المورد ، بغداد ، مج(1) ، ع(1) ، 1971 ، ص9-12 .

3- ف. التهايم ، شتيل ، "دراسة في التاريخ السياسي والفكري للعرب قبل الاسلام" ، تر : منذر البكر ، مجلة الفكر الحي ع2 ، البصرة ، 1969 .

4- المحيسن ، زيدون ، "دراسة في هندسة المياه في البتراء" ، مجلة أنباء جامعة اليرموك ، ع(15) ، 1993 ، ص11-14 .

5- "خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان" ، حولية دائرة الآثار العامة ، مج34 ، عمان ، 1990 ، ص5-13 .

74- Lindner , petra and das konigreich der Nabataen , (Munich, Delp, 1980) , p.259

75- Ibid . p. 259 .

76- عباس ، إحسان ، تاريخ دولة الأنباط ، ط1 ، عمان ، دار الشروق ، 1987) ص111.

77- Linder , op. Cit, p. 259

78- المحيسن ، خربة الذريح موقع نبطي ، ص7 .

79- الأصطفرك ، نبتة معمرة تزرع لاستخراج الصمغ الذي يستعمل في تثبيت العطور .

راجع Kammer , op. Cit, P. 370

80- Ibid , p.370

81 - Startcky, J, petra et la Nabatene supplement an dictionnaire de la Bible , Vol , v11 . 1966 , p.938 .

82- Kammer , op. Cit, p. 370

55- من الآلات المستعملة لغرض تشقيق الأرض . راجع : التاج ، ج، ص12 .

56- Strabo . Bk, Xv1. Ch, 4, P 26 .

57- وهي خشبة عريضة تجر بواسطة الحيوانات وقد استعملت لغرض تمليس التربة راجع : التاج ، ج7 ، ص73 .

58- وهي شبحة ذات أسنان توضع على الحيوانات ، والغاية من استعمالها حمل التراب المثار وتحويله الى الأماكن المنخفضة . راجع : التاج ، ج1 ، ص 191 .

59- وهي شبحة تشبه المشط ، إلا أنه لا يوجد لها أسنان . راجع : التاج ، ج1 ، ص191 .

60- التاج ، ج7 ، ص354 .

61- جواد ، علي ، المفصل ، ج7 ، ص50 .

62- التاج ، ج1 ، ص235 .

63- جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص51 .

64- آلة استعملت لغرض حصد الزرع بعد نضجه راجع : التاج ، ج2 ، ص336 .

65- جواد ، علي ، المفصل ، ج7 ، ص52 .

66- ذكر المؤرخون عدة أسماء لآلة التذرية مثل : المذرى ، المذرة ، المروح ، الميثان ، الحفراة . راجع : جواد ، علي ، المفصل ، ج7 ، ص53 .

67- وجد مثل هذا النوع من الطواحين في منطقة وادي عفرا ومنطقة وادي فينان في وادي موسى راجع :

Al- Muhisen, z, Modes distillations agricoles Nabateennes dancs la region petra et dans le wadi Arabah, SHAJ, 4, 1992 p.p 215-219

68- Eleson op Cit , p. 256-257

69- إيفنارى ، المصدر السابق ، ص428 .

70- Strabo , BK, Xvl, ch 4p . 26

71- وجد مثل هذه المعاصر في منطقة بيضا القريبة من البتراء . راجع :

Al- Muheisen , z. Examples dinstallations hydrauligues et de teachings dirrigation dans le domaine Nabateen , BAH , CXXXV1 , Paris , 1990 , p.p 507-513 .

72- المحيسن ، خربة الذريح موقع نبطي ، ص7 .

73- Glueck, N, The other side of the jordan , (cambridge Massassuchets, 1970) , p.209 .

34- هيلي ، جون ، الأنباط ومدائن صالح ، مجلة اطلال ، الرياض ، ع(10) ، 1986 ، ص135-144 .

35- جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص195 .

36- Eleson, op.cit, p.256-257

37- Evenari, M, Faire revivere le desert experiences , jágriculture en zones arides , ed, fr, (zurich, 1974) p.131

38- Al- Muheisen , Ressourees Naturalles , p.p 142-148,

39- j,Eadie, Humayma, 1983, The Regional survey , ADAJ, 28, 1984, p.217 .

40- المحيسن ، زيدون ، دراسة في هندسة المياه في البتراء ، مجلة انباء ، جامعة اليرموك ، ع15 ، 1993 ، ص12 .

41- المحيسن ، البتراء ، ص 71-72 .

42- Al- Muhisen, z, and Tarrier , D, La protection dusite de petra ale Pogue nanateenne, SHAJ, V, 1995 , p.p 721-725 .

43- المحيسن ، زيدون ، خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان ، حولية دائرة الآثار العامة ، عمان ، 1990 ، ص5-13 .

44- المحيسن ، البتراء ، ص70 .

45- al- Muheisen , Ressourees Naturalles , p.p 142-148

قارن: Elson, op . Cit, p. 256-257 .

46- نجد ان عرب الجنوب قد استعملوا الجص في عملية بناءهم للسدود ، راجع ، جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص211 .

47- Glieck, op , cit,p 195-196 .

48- Ibid, p. 195-196 وكذا : المحيسن ، البتراء ، ص79 .

49- المصدر نفسه ، ص79 .

50- المصدر نفسه ، ص203 .

51- خير مثال على ذلك الخزانات التي وجدت آثارها في منطقة النقب راجع ، Nejev ,A Tempel, Kirchen and Zisternen . (Stuttgart calwer 1983) ,p200 .

Al- Muheisen , Ressourees Naturalles, p.p 142-148

52- جواج ، علي ، المفصل ، ج7 ، ص46 .

53- الزبيدي ، محمد الحسيني ، تاج العروس ، ج9 ، (بيروت ، دار صادر ، 1966) ، ص299 . سيشار له فيما بعد : التاج .

54- التاج ، ج3 ، ص151 .

ف . التهايم ، شتيل ، دراسة في التاريخ السياسي والفكري للعرب قبل الاسلام ، تر : منذر البكر (مجلة الفكر الحي) ع2 ، البصرة ، 1969 ، ص92 وأيضاً : F. Altheim , Weltgeschichte Asiens im griechisehen Zeitalter . Haale / saale , 1948, bd, 2, s, 156 .

16- البكر ، منذر ، "ايمبولوس الكاتب العربي الطوبائي "مجلة المورد ، بغداد ، مج1 ،ع1 ، 1971 ،ص11 .

17- Glueck, N, Rivers in the desert , (New York , w.w Norten, 1959) P. 193-197 .

18- المحيسن ، زيدون ، البتراء مدينة العرب الخالدة (عمان ، وزارة الشباب ، 1996) ص65 .

19- Lawlor , j,I The Nabataeans in Historical perspactive (Michigan , N.P, 1974) p.81 .

20- المحيسن ، البتراء ، ص65 .

21- ايفناری وكولر "اساطين الصحراء" تر : عبد الكريم الخضيري ، مجلة الزراعة العراقية ، بغداد ، 1956 ، ص426 .

22- المصدر نفسه ، ص426 .

23- ايفناری ، المصدر السابق ، ص426 .

24- جواد ، علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج7 ، ط1 (بيروت ، دار العلم للملايين، 1971) ، ص36 .

25- المصدر نفسه ، ص35.

26- المحيسن ، البتراء ، ص69 .

27- ايفناری ، المصدر السابق ، ص429 .

28- المصدر نفسه ، ص429 .

29- المصدر نفسه ، ص429 .

30- موسل ، أ ، شمال الحجاز ، تر: عبد المحسن الحسيني ، (الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1988) ، ص125 .

31- ايفناری ، المصدر السابق ، ص428-429 .

32- Al-Muheisen , z, and Tarrier , d , Ressourees Naturelles et Occubation du site de petra , SHAJ, 6, 1997, P.P 142-148 .

33- Al- Muheisen , Ressourees Naturelles , وسيشار له فيما بعد

Eleson , Report The Humayma Hydraulic Survey preliminary the قارن 1986 season , ADAJ, 30 , 1986 p.p . 256-257.

الهوامش

1- Diodorus Siculus, the library of History . (Leaden. Brill, 1972) . P.19 : 94

2- Kammere, petra et la Nabatene, Vol.1 (librarie Drientaliste, Paris, 1930). P. 374

3- Starbo . geography, 16 :4:26

4- باقر ، طاهر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (في التاريخ العراقي القديم) ، ط2 ، ج1 (بغداد ، جامعة بغداد ، 1995) ص422 .

5- "لوندن ، العلاقات الزراعية في سبأ" ، تر : ابو بكر السقاف ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء ، ع2 ، 1979 ، ص77 .

6- المصدر نفسه ، ص85 .

7- Altheim, R,Die Araber in der alven Bd vol .v11 (Berlin, Degrugter , 1966) , p. 358

8- Ryekmans, j . Linstitution Monaricigue en Arabe Meridionale avant Islam (louvain, publications Universitaires, 1951)p.178-182 .

9- Ibid, p. 178-182 .

10- رورد كناكيس ، الفصل الثالث من تاريخ العرب القديم ، نلسن ديتلف ، تر: فؤاد حسنين ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية 1959) ص147.

11- جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج8 ، (بغداد ، الرابطة للطبع والنشر ، 1953) ص228 .

12- م.ب بيو تروفسكي ، اليمن قبل الاسلام والقرون الأولى للهجرة ، تح : محمد الشعبي ، ط1 ، (بيروت ، دار العودة ، 1987) ص99 .

13- رودو كناكيس ، المصدر السابق ، ص149 .

14- المصدر نفسه ، ص145 .

15- ان اسم ايمبلوس اسم سامي وللتفصيل راجع

F. Altheim – R.Stiehl . Die Araber in der alten Welt Berlin 1964 . bd.1 . s83. ، لا بد ان يكون اسمه عربيا لكن الادب اليوناني اعطاه هذا الاسم كما اعطت اوروبا في العصور الوسطى اسم AVICENNA لابن سينا و AVERROES لابن رشد وايمبلوس عاش في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد وتأثر بالثقافة اليونانية ويقال انه سعى لاكتساب هذه الثقافة منذ طفولته راجع :-

المحاصيل المذكورة زين الأنباط منحوتة الآله Eros بثمار نبتة الصنوبر مما يجعلنا نذهب إلى أن هذه الشجرة قد زرعت من قبل الأنباط فضلاً عن جعلها نبتة مقدسة في نفوسهم .

وتوجت هذه المحاصيل شجرة النخيل[82] التي نعتقد أنها جلبت من بلاد الرافدين ، مما يدل على امتزاج هذه الحضارات ليس في المحاصيل والتبادل التجاري فحسب وإنما في روح الحضارة والرقي .

ولا تكفي أية إشارة بمهارة العامل النبطي الزراعية ، الذي استطاع أن يتحمل الكثير لبناء الحضارة على الرغم من الظروف الصعبة والذي تمكن من إنتاج هذه الأنواع الزراعية ، ونذهب إلى أن مثل أصحاب هذه الحضارات لا بد أنهم زرعوا أنواعاً أخرى من المحاصيل إلا أننا لم نعثر على دليل أو إشارة لها حيث لا بد أن تكون منطقة الأنباط قد اشتهرت بها كسائر المناطق العربية .

المنحوتة في الصخر مع وجود حفرة مربعة حفرت في الصخر لغرض وضع العنب به وعصره بالأرجل[71] .

وكانت لهذه المعاصر أهمية اقتصادية وتجاريه كبرى تجلت في تصدير نبيذ العنب وبيعه[72] . كما نفترض أن محصول الرمان الذي توفر بكثرة أيضاً في منطقة المملكة النبطية كان يعصر في هذه المعاصر ومن ثم يتم تصديره إلى الخارج ومما يلفت النظر أن الأنباط قاموا بحفر أوراق هذه الشجرة وأغصانها على منحوتاتهم ولا سيما منحوتة الآله Eros مما يعني قدسية هذه الأشجار وأهميتها في أعراف الأنباط ومعتقداتهم . كما نجد أن العرب الأنباط قاموا بتزيين أوانيهم وأطباقهم بالأشكال الدالة على شجرة التوت [73] مما يجعلنا نذهب إلى أن هذه الشجرة كانت متوفرة عندهم .

وقد كان من ضمن النباتات التي اشتهرت بها مملكة الأنباط شجرة البلسم التي يبلغ ارتفاعها من (5-6 متر) وهي على شكل فروع حمراء ثلاثية الأوراق في موسم المطر وبدون أوراق خلال موسم الجفاف [74] وأصل هذه الشجرة من المنطقة الجبلية للبحر الأحمر في جنوب الجزيرة ومن السواحل الشرقية الأفريقية من الصومال . كما تذكر المصادر أن هذه الشجرة وجدت في مصر وفلسطين[75].

وقد بلغت هذه الشجرة من الروعة ما بلغته حضارة الأنباط فقد عدت من عجائب الدنيا في القرن الثاني للميلاد وبلغت من الشهرة الحد الذي اهتم فيها الطبيب المشهور (جالينوس) واستعمال أوراقها عقارا مهما في القضاء على الأمراض[76].

كما قام (أنطونيوس) بتقديم البلسم هدية إلى حبيبته كليوبترا كما تجلت أهمية هذه الشجرة بأن اتخذها(جستنيان) رمزا لانتصاره ، حيث حمل هذا النوع من الشجر إلى روما بعد غزوه لفلسطين وانتصاره على أهلها[77] .

ومن المحاصيل التي اهتم الأنباط بزراعتها شجرة الزيتون ويؤكد ذلك المعاصر التي وجدت على الجهة الجنوبية الغربية من المعبد فقد كان الزيتون يعصر على مرحلتين ، الأولى بوضعه داخل صحن حجرى كبير ثم يهرس بوساطة دولاب حجري ثقيل يدور داخل الصحن الحجري . وفي المرحلة الثانية يتم عصر الزيتون المهروس بوساطة حجر ثقيل يتحرك بحركة متوالية تارة للأعلى وأخرى للأسفل لينزل على سطح مستو يعصر عليه ثم تتوجه هذه العصارة سائلة في داخل قناة حفرت على أطراف الحجر المسطح منتهية بفتحة يخرج منها الزيت صافياً ليصب في حوض دائري في اسفل المعصرة[78] . دالا على اشتهار تلك المواقع بزراعة الزيتون التي أدرك الأنباط أهميتها .

وقد اشتهرت منطقة الأنباط بزراعة "الأصطفرك" [79] ، فضلاً عن نبتة الزعفران ونبتة Costas المعطرة [80] ، كما يبدو أنهم زرعوا الفلفل الأخضر [81] فضلاً عن هذه

الحيوانات التي تضغط عليها لغرض استخراج الحب وتهشيم سيقانه ، كما استخدمت للغاية ذاتها آلات تجرها الثيران حيث يجلس عليها شخص ليزيد من ثقلها وقد أطلق على هذه الآلة اسم "الحيلان"[65] ، وما زالت هذه الآلة مستعملة في بعض المناطق حتى وقتنا الحاضر .

وبعد الدياسة والدراسة لا بد من القيام بعملية التذرية حيث استخدمت لإنجاز هذا العمل آلة المذراة[66] ، التي يذرى بها الهشيم في الهواء والذي يقوم بدوره بحمل التبن إلى مكان أبعد من المكان الذي ينزل في الحب .

وهنا نرى أن العرب الأنباط لم يختلفوا عن غيرهم من الشعب العربي في اتباع هذه الأساليب ، فقد استعمل العرب في الجاهلية هذه الأساليب وما زال سكان المنطقة يستخدمونها ، وذلك لأن التسلسل المنطقي والطبيعي لأسس الزراعة هو واحد .

ويظهر أن الأنباط كانوا يقومون بطحن الحبوب بوساطة الطواحين التي غالبا ما كانت تدار بقوة مياه الأمطار وضغطها كالتي زينت الضفة الشرقية لوادي اللعبان[67] .

المحاصيل الزراعية :

اشتهرت مملكة الأنباط بزراعة بعض المحاصيل الزراعية وهنا أردنا أن نقوم بدراسة أشهر المحاصيل التي اهتم الأنباط بزراعتها في مناطقهم لأن الزراعة هي حجر الأساس لأي مجتمع .

والمتأمل في المحاصيل يرى أن المنطقة النبطية اشتهرت بزراعة الحبوب وأشهرها الحنطة والشعير ، حيث زرعت الحنطة بكثرة في الحميمة وذلك لخصوبة التربة في هذه المنطقة فضلاً عن وفرة المياه فيها [68] ، كما نجد أن زراعة الحنطة قد انتشرت في منطقة عبده[69] للظروف المتوفرة في الحميمة ، وفي الوقت نفسه نجد أن تلك المناطق كانت صالحة لزراعة الشعير بالدرجة ذاتها التي تصلح فيها زراعة الحنطة كما اتبعت الأساليب الزراعية ذاتها .

وبسبب عدم توفر المعلومات التي تفيدنا عن كيفية تصدير الحبوب إلى الخارج فإننا نفترض أن هذه المحاصيل كانت للإستهلاك المحلي في المملكة النبطية . ويشير الجغرافي سترابو أن الأنباط كانوا يصدرون نوعا من الحبوب يدعى السمسم ، كما يذكر أن زيته كان يستخدم محل زيت الزيتون[70] . ومن هذه الإشارة نذهب إلى أن هذا النوع كان متوفراً بكثرة في أرجاء المملكة النبطية الأمر الذي جعلهم يقومون بتصديره ، فضلاً عن استخدامه مكان زيت الزيتون . ولم تقتصر الزراعة النبطية على الحبوب وإنما كان هذا الإنتاج أحد المحاصيل الزراعية الأهم في المملكة النبطية . حيث اكتشفت معصرة للعنب في خربة الذريح وتقع هذه المعصرة إلى الجنوب الشرقي من المعبد ، حيث تكونت من الأحواض المستديرة ،

جزءاً من نظام الري المتكامل لمدينة الحميمة ، كما عثر على أحواض بجانب البرك استخدمت لسقاية المواشي.[51]

العمل والانتاج الزراعي :

كان مورد الزراعة المعين الأساس الذي اعتمدته الحضارات في نشأتها الزراعية ولا نجهل الأسس الزراعية المتبعة لتعطينا الخير والنبات ، فلسنا بقادرين على إنماء الأرض ببذرها أو زرعها دون أن نحرثها أولاً ، وقد لوحظ أن الحضارات المتعاقبة قد استعملت الأساليب ذاتها في حراثة الأرض ، ويبدو ذلك جلياً وواضحاً عندما نعلم أن جميع شعوب منطقة الشرق الأدني قد اعتمدت الأساليب نفسها في عملية حراثة الأرض وكان بعض هذه الاساليب بدائياً جداً كاستخدام الحجارة أو الأخشاب أو الفؤوس ، على حين كان بعضها الآخر أكثر تطوراً حيث استخدمت الآلات التي تجرها الحيوانات[52] .

وفي ضوء ما أشارت إليه المصادر التاريخية من ان الجاهلين كانوا يستعملون الفدان [53] ، والمحفار [54] ، فضلاً عن آلة المعزقة[55] ، نعتقد أن العرب الأنباط كانوا قد استخدموا الآلات نفسها ، ولا نجزم أن هناك اختلافاً في لفظ الكلمة الدالة على الآلة . وبالطبع فإن تلك الالات احتاجت لنوع من الحيوانات تتحمل مصاعب العمل ونظن ان الأنباط قد استعملوا لهذا الغرض الجمال والخيول والثيران التي وجدت بكثرة في مملكة الأنباط [56] .

وبعد الانتهاء من تنظيم الأرض وتمهيدها للزراعة تأتي عملية البذر وتعني نثر الحبوب بطريقة متناغمة ومنتظمة لتحتضن في داخل الأرض ، ونظن أن العرب الأنباط كانوا قد استعملوا آلة المالقة[57] ، والمجز[58] ، وآلة المنجب[59] ، ولإنجاز عملية البذر على الوجه الأكمل .

ونفترض أن الأنباط كانوا يستخدمون فضلات الإنسان والحيوان لغرض تسميد الأرض كما اتبعها عرب الجاهلية من بعدهم . وتذكر المصادر التاريخية أنهم كانوا يستخدمون الزبل فقد أطلق لقب "عدن الأرض" على الأرض المسمدة التي تعني إصلاح الأرض بالزبل[60] .

وجاء في لغة المسند أن لفظة "خصب" كانت تطلق إذا أصاب الزرع الخصب والنماء [61] ويظهر لنا أن الشعب العربي ما زال حتى وقتنا الحاضر يطلق اللفظة نفسها لتعني كثرة العشب والزرع والنماء[62] ، وبعد ذلك كله تأتي عملية الحصاد التي تعني – كما هو معروف – جني الثمار وحصاد الحبوب بعد نضوجها [63] .

كما أن الأنباط قد استعملوا آلة المنجل [64] ، التي ما زال الفلاحون يستخدمونها حتى وقتنا الحاضر في حصاد الشعير والحنطة . وعند إتمام الحصاد توضع هذه المزروعات في طريق

مياه أبعاده (1.2 × 0.7م) ميزته عن غيره من السدود ، مع الاحتفاظ بالغرض الذي بني من أجله هذا الحوض وهو سقاية الحيوانات [47] .

ويبدو أن الهدف الأساس من بناء السدود في الحضارة النبطية ، هو السيطرة على مياه الأمطار والسيول المتدفقة منها لوقاية المزارع والقرى من هذه السيول ، وكذلك للاحتفاظ بهذه السيول تحسبا لانقطاع المطر وبسبب إدراك العرب الأنباط هذه الغايات قاموا بنشر السدود في المملكة النبطية ، كأنما ينتشرون قطرات الحياة على الجسد الميت ، فأحيوا تلك المناطق المختلفة كوادي موسى والبتراء وبيضا والسادة والحميمة وأم الجمال والنقب ومرافقهم العديدة في وادي عربة كموقع غرندل وخربة الطلاح وخنزيرا وفيفا ووادي أمرق[48] حتى ازدهرت الحياة فيها وتطورت .

4. البرك وخزانات المياه :

رأى الأنباط أنه لا بد من الاستفادة من أماكن التقاء السيول والمنحدرات الصخرية فأنشؤوا فيها البرك وخزانات المياه وقد كانت هذه البرك والخزانات أكثر انتشاراً من الآبار والسدود كما دلت المصادر التي توفرت لدينا .

وكسائر معالم الحضارة النبطية فقد نحتت هذه البرك في الصخر الرملي ولم يلتزم الأنباط بالقياسات والشكل الهندسي ، لكن هذه البرك جاءت على أشكال وقياسات متناسقة هندسياً ، غير أن الطبيعة الصخرية جاءت في بعض الأجزاء غير المتناسقة وذلك بسبب الانحدار الشديد أو انقطاع الطبقات الصخرية ، لذلك لم يتمكن الأنباط من الاستفادة منها في تخزين المياه كما هي على سجيتها فأتموا هذه الأجزاء غير المتناسقة بالبناء بالحجارة المتماسكة بالمونة الأسمنتية[49] .

وكان إنشاء هذه البرك على وفق خطوات تدريجية متقنة حيث يتم اختيار الموقع ووضع الخطة أولاً ثم يبدأ العمل بتقطيع الصخور والاستفادة منها في البناء حيث تقطع على شكل مداميك ، وبعد انتهاء الحفر تبنى الأقواس التي تغطي البركة ويتم ذلك بتسلسل معماري عن طريق حفر أساس لها في الواجهة الطولية ويثبت فيه الحجر الأول للقوس ثم تبنى الحجارة فوقه بانحدار تدريجي ويغطى القوس بعد الانتهاء من بناؤه بالجبس ويبدو أن هذه البرك كانت تسقف ببلاطات لتسد الفجوات ما بينها بالمونة الإسمنتية لزيادة تماسك السقف وحمايته من التآكل[50]

لقد بنى الأنباط العديد من البرك المكشوفة ذات الاستعمال المحدود والقصير الأمد حيث عثر على ما يقارب الخمسين بركة في منقطة الحميمة وحدها . حيث شكلت اثنتان منها

البناء كما تكشف عنه حالة التطور التي وصل اليها العقل الإنساني ويبدو هذا واضحاً في العديد من نماذج البناء التي أقاموها .

وعلى الرغم من أن التكوين الجيولوجي وقف حائلاً في طريق بناء حضارتهم إذ كانت معظم أراضيهم ذات صخور رملية صخرية كما هو عليه في منطقة البتراء فضلاً عن وجود العديد من الأودية وسرعة جريان مياه الأمطار وتحولها إلى فيضانات تؤدي إلى انجرافات في تلك الأراضي المنخفضة المستوى إلا أن الأنباط تغلبوا على هذه المشكلات والعقبات من خلال بناء السدود واستثمروا طبيعة الأرض والمناخ لصالحهم عن طريق استثمار مياه الأمطار المتجمعة للري والشرب[43] .

وقد اعتمد في عملية بناء السدود على الحجارة المقتطعة من الصخور التي عولجت بشكل دقيق ومهارة عالية حيث كانت توضع بعضها فوق بعض مما يجعلها تتماسك وكأنها قطعة واحدة [44] ، فضلاً عن استعمال مادة "الجبس Gips" والحجارة الصغيرة لسد الفجوات بين وحدات البناء الأساسية[45] .

ويعد سد كلخة دلالة واضحة على براعة الأنباط في بناء السدود ، حيث يقع في الجنوب الغربي من منطقة الحميمة ، إذ استعمل في عملية بناء هذا الصرح الشامخ الحجارة الرملية الكبيرة المرتبطة بعضها فوق بعض بفعل مادة الجبس التي زادت من متانة البناء وقوته ، الذي بدا على شكل مداميك ضخمة تمنع تسرب المياه ، فضلاً عن وجود الحجارة الصغيرة التي كانت تستعمل لسد الفجوات كل ذلك وظف بطريقة معمارية منتظمة حيث بلغ عرض جدار السد (4.36م) وطوله (9.40م) .

وسهل نظام البناء المعماري المنتظم الصعود إلى أعلى السد من خلال وجود عدة درجات منحوتة في الصخر في الواجهة الأمامية الواقعة في الجهة الجنوبية من السد ، وتكررت منظومة بناء الدرج للصعود إلى حفرة كبيرة نحتت في الصخر خلف هذا السد وكان الغرض منها استيعاب المياه الساقطة من أعلى . أما المساحة الواقعة في مقدمة السد فقد استغلت ببناء حوض كبير لغرض سقاية الحيوانات ولاسيما الجمال منها ، إذ بلغ طول هذا الحوض مترين وعرضه يتراوح بين المتر والمترين وعمقه يبلغ نصف المتر .

كما اختار الأنباط أسفل جبل (أبو خشيبة) على بعد 12 كم جنوب شرق وادي رم بسبب وجود مجموعة من الشعاب الصغيرة الموجودة في أعلى الجبل ، فكان ذلك الموقع مناسباً لبناء سد (أم درج) الذي وجد ليكون بحد ذاته معلماً عظيماً حيث بلغ طوله (8م) وارتفاعه (2م) وسمكه (2م) [46] . ومن الناحية الهندسية برزت اللمسة النبطية بوجود درج منحوت في الصخر على الجهة الشمالية من السد . وكغيره من السدود استعمل في عملية البناء الحجارة ، إلا أن القناة الخارجية من السد البالغ طولها (25م) والتي تصب في حوض

أما النوع الثاني فهو قنوات مياه العيون ، فقد احتاج هذا النوع إلى بذل جهد كبير وخبرة هندسية بسبب بعد تلك الينابيع عن أماكن التجمعات السكانية كذلك وعورة التضاريس التي تمر بها هذه القنوات وخير مثال على هذا النوع من القنوات : قناة عين الجمام الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من منطقة الحميمة حيث جاء مسار هذه القناة في الشعاب والأودية مما تطلب هذا دراسة هندسية دقيقة لتخطي الحواجز والأودية[37] .

ويبدو أنه استعمل في بناء القناة الحجارة الكلسية المنحوتة بشكل هندسي والغرض من ذلك ضمان عدم تسرب المياه كما نحت في داخل هذه القناة تجويف ثبتت في داخله مواسير فخارية متقنة الصنع ارتبطت مع القناة الحجرية بطبقة من الجص ، فجاء هذا الشكل الهندسي مميزاً لقناة عين الجمام ولم يتوفر مثل ذلك في القنوات السابقة الصنع كعين القناة [38] وقد استخدمت هذه القنوات لغرض الشرب والدليل على ذلك وجود المشارب على طول مسار هذه الأقنية فضلاً أن هذه القنوات كانت مغطاة بشكل محكم بالحجارة المنبسطة والجص .

أما مدينة البتراء العاصمة فقد كانت تخلوا من ينابيع سوى نبع ضعيف في ضخه يدعى عين "السيغ" ولا يؤدي هذا النبع الغرض المطلوب من تغذية المدينة بالمياه[39] لذلك كان تزويد البتراء يتم خلال تجميع مياه الينابيع المنتشرة حول المدينة مثل نبع عين موسى ونبع أم سراب ونبع براق فضلاً عن نبع دبدبة وكانت هذه الينابيع تغطي جميع احتياجات المدينة من المياه اذ كانت تنقل بشبكة قنوات مبنية بالأسلوب نفسه الذي ذكرناه في قنوات منطقة الحميمة.[40]

ومما يلفت الانتباه أن الأنباط قاموا بإخفاء تلك القنوات في أثناء مرورها أمام واجهات المقابر والمباني السكنية وذلك من خلال حفرهم الأخاديد العميقة ووضع أنابيب المياه الفخارية في داخلها وتغطيتها بالصلصال كما نشروا المصافي المختلفة فضلاً عن المصارف على معظم قنوات المياه ، بهدف تنقيتها من الشوائب[41] . وفي موقع آخر من المملكة النبطية وهو خربة الذريح نجد أن الأساليب المتبعة هي وحدها كما في باقي المناطق السابقة الذكر ، فقد توفر في هذه المنطقة ثلاثة ينابيع هي عين الذريح ، عين اللعبان ، وعين الفضيح ، وكانت تغذى بوساطة قنوات المناطق السكنية والمعبد وبعض الأراضي الزراعية[42] .

3. السدود :

لقد تميز الأنباط عن غيرهم من الشعوب في كيفية الاستفادة مما حولهم من ظواهر تخدم مصالحهم وما بناء السدود إلا معلم حضاري واضح يعبر عما وصل إليه العرب الأنباط من أصول حضارية في هذا الجانب فقد تميزت هذه السدود بالدقة والإتقان في مجال هندسة

المملكة على كتف حضارة صلبة اعتمدت على أقوى عاملين هما : الزراعة القائمة على الري ثم على التبادل التجاري وهنا سناتي على ذكر هذه المعالم والتنظيمات كالآبار والقنوات والسدود والبرك والخزانات المائية .

1- الآبار والصهاريج :

مما تجدر الإشارة إليه أنه لم يكن من السهل على مجتمع في ذلك الزمن البعيد أن ينجز عملاً عبقرياً كالذي أنجزه العرب الأنباط على مستوى حفر الآبار في الوقت الذي كان فيه هذا العمل يتطلب توفر الأدوات والآلات اللازمة والعلم والذكاء والمعرفة الدقيقة بطبيعة الأرض فضلاً عن الكيفية التي يتم بها المحافظة على استمرارية البئر وسلامته من الانهيار . وهنا لا بد من وجود متخصصين في هندسة الري وأظن أن الأنباط قد برعوا في ذلك وقد عرفت هذه الآبار باسم "تقور"[30] وهي تنقر عادة في الأراضي ذات الطبيعة الكلسية لضمان عدم تسرب الماء من خلالها وكذلك المحافظة على المياه لمدة طويلة[31] وكانت هذه الآبار عادة تنقر بعمق قدره أربعة أمتار وهذا العمق يتخذ عدة أشكال منها المربعة والمستطيلة والكمثرية[32] وتكون أبوابها ذات أشكال دائرية ضيقة لتقليل عملية التبخر ، ومن المفيد قوله أن هذه الآبار كانت تستخدم لاغراض الشرب ، كما استخدمت للأغراض العسكرية[33] وقد أخفيت بطريقة يصعب على الأعداء الوصول إليها حيث أشار ديودور الصقلي إلى أن الأنباط كانوا يحفرون الآبار ويضعون عليها الإشارات الدالة لهم فضلاً عن تغطيتها بالحجارة حتى لا يتمكن الأعداء من السيطرة عليها فيكونوا بذلك أعلم من غيرهم بها[34] .

2- القنوات :

جاءت فكرة القنوات من حرص الأنباط على عدم إهدار أي قطرة ماء بل استغلال المياه استغلالاً جيداً سواء كان في الشرب أو في مجال الري والزراعة .

لذلك فضلنا تقسيم تلك القنوات بحسب نوعية الماء الذي تنقله إلى قسمين :- كان النوع الأول بشكل هندسي راقٍ ومثال ذلك قناة "دبة حانوت" التي يقرب طولها (40م) وعرضها بين (30-40سم) ، وبعمق (10-20سم) وقد جاءت محتويه على قنوات بداخلها اصغر منها إذ يبلغ عرضها من (4-8سم) وبعمق (2سم) [35] وكان هذا الشكل الهندسي متبعاً في القنوات الخاصة بتجميع مياه الأمطار الموجودة على الجبال والتلال الصخرية وتوجيهها نحو الحقول والمساطر والوحدات الزراعية فضلاً عن القنوات الخاصة بتصريف مياه الأمطار الزائدة إلى البرك والسدود والآبار لغرض التخزين.[36]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأنباط كانوا يقومون بزراعة الأشجار على هذه المدرجات من أجل تثبيت التربة وتقليل سرعة المياه . وكانت هذه الاشجار من النوع غير الصالح للأكل أو من النوع السام الذي لا يصلح طعاماً للحيوانات[23] .

وقد استعمل نظام المدرجات عند عرب جنوب الجزيرة العربية حيث كانت تستند جوانب المدرجات بالصخور والحجارة تجنباً لانهيار التربة والنباتات المزروعة فيها وقد أشار (بطليموس) إلى أن أهل النجود والجبال في بلاد العرب كانوا يستعملون المدرجات وقد أطلق على الجبال المكونة للقسم الجنوبي من (السراه) (Climax Mounts) والتي تعني الجبال المدرجة [24] كما ورد اسم المدرجات في لغة المسند اذ يقال لها (جروب) أو (جربت) [25] .

أما النظام الثاني الذي استخدمه الأنباط في مجال تطوير الزراعة النظام الذي اطلق عليه اسم (تليلات العنب) [26] ، او نظام (أكوام الكروم) [27] ، وهو عبارة عن اكوام من الحجارة مرتبة بشكل هندسي على سفوح التلال .

وقد ظهرت نظريتان تفسران الغاية من استخدام هذه الأكوام ، فمنهم من ادعى أن هذه الحجارة وضعت جنب الكروم لتقلل من عملية التبخر من التربة ولاجل جمع الندى [28] أما أصحاب الرأي الآخر فيقولوا أن الحجارة كانت قد أزيلت عن سطح الأرض لتنظيم التعرية وذلك بجعل الوديان المجاورة لها ذات ميزة خصبة[29] .

هندسة الري :

يعد الماء عصب الحياة لكل حضارة وقد أكد ذلك كتاب الله الحكيم في قوله:- "وجعلنا من الماء كل شيء حي" (الانبياء) [30] ، وهذا ما أدركه الأنباط اذ عملوا جاهدين على إيصال المياه إلى الأرض فبرعوا بنظم الري وشق الجداول وانشاء السدود والخزانات والآبار .

ورافق مسيرة التطور والتقدم الحضاري تطور في تنظيمات الري والمشاريع الزراعية وذلك وبدأ المجتمع النبطي بالوقوف على قدميه عندما غذى عصب الحياة أراضيه وأنشئت المعالم الخاصة بالري وتنظيماته لأن تنظيماته بلغت هذا الحد المتطور مقارنة بالزمن فما تحقق الا عن طريق مجتمع يعدو باتجاه التقدم في مضمار التمدن ، وما كان هذا باعتقادنا سوى بإيعاز من سلطة حاكمه متنبة إلى حاجة المجتمع للنظم المائية والزراعية ورعايتها بشكل دائم ومستمر .

وعندما عمل الأنباط في هذه التنظيمات والمعالم الخاصة بالري كان ذلك بهدف توسيع أطراف المملكة النبطية وعلى وجه الخصوص رقعة الأراضي الزراعية وذلك بسبب تكاثر عددهم فأتقنوا هندسة الري حتى بدا ذلك الفن وكأنه خلق لهم دون غيرهم والدليل ان شق الجداول ونقل المياه كان عبر مسافات طويلة إلى الوصول للأراضي الزراعية . وارتفع تاج

المعبد والحقوق الأخرى المترتبة على المزارع ويأخذون حصصهم كاملة ويحملون مزارعيهم ومن يعمل في خدمتهم دفع حصة الحكومة[11] .

لا بد أن الأنباط كانوا يدفعون ضرائب على غرار ما عرف عند العرب في جنوب الجزيرة العربية التي تسمى بضريبة العشر[12] ، أي عشر الدخل والميراث والمشتريات إلى جانب ضريبة أخرى تسدد إلى المعبد والتي كانت في الأصل تقدم هبة[13] . وهناك ضرائب أخرى عددها (رودو كناكيس) وهي ثمن الشراء ، و أجرة الأرض ، وضريبة الأرض للأغراض العسكرية [14] . أما نسبة هذه الضرائب فلم يصلنا ما يساعدنا على معرفتها معرفة دقيقة وكل ما نعلمه عنها أنها كانت تجبى من القبيلة وكانت الكمية تختلف باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع الغلة .

وتعد قصة دولة الشمس sunsTATE للكاتب العربي النبطي الطوبائي ايمبولس تعبيراً عن حالة الصراع السائد حول ملكية الأراضي ووسائل الانتاج وتوزيع العمل والأساس في إنشاء هذه الدولة الخيالية العمل المشترك والملكية المشتركة ، اذ ترفع هذه الدولة الملكيات الفردية والعائلة الواحدة حتى ملكية النساء ، الأطفال مشتركة كما أن هذه القصة جاءت معبرة عن المثل الأعلى لكيان مجتمع طوبائي مسالم في علاقاته الاجتماعية من توزيع العمل إلى ملكية الأراضي ووسائل الانتاج البسيطة[16].

الأنظمة الزراعية :

لقد برع الأنباط في مجال الزراعة وتميزوا عن غيرهم من شعوب المنطقة في كيفية استغلال سفوح الجبال والصحراء وتحويلها إلى أراضٍ ذات غلات عالية ، فوصلوا بذلك إلى أرقى مراحل التطور في الأنماط الزراعية[17] ، في الوقت الذي فيه يواجهون مشكلتين كانتا من الممكن ان تقف حائلاً دون تحقيق أي نجاح على هذا المستوى ، فكانت معظم الأراضي المتوفرة لديهم غير صالحة للزراعة فضلا عن ذلك ما كانوا يعانونه من قلة الأمطار[18] .

أما كيف تغلب الأنباط على الظروف الطبيعية المؤثرة في مدى استمراريتهم في الحياة فما كان امامهم سوى ابتكار أساليب مائية وزراعية في مجال تطوير الزراعة التي تعد المصدر الأول للحصول على الطعام لمجتمع في زيادة كبيرة ومستمرة في عدد سكانه [19] ، فتوجه الأنباط إلى الجبال والتلال فزرعوها بالمزروعات التي تلائم طبيعتها .

ولتحقيق غرس الجبال لا بد من تمهيدها للزرع حيث اعتمدوا على ما يسمى بنظام المصاطب[20] ، أو المدرجات[21] ، وتتجسد أهمية هذا النظام بابطاء مياه الأمطار المنحدرة والمتدفقة من أعلى الجبال إذ أن جزءاً من هذه المياه يترسب داخل الأرض في كل مرحلة من مراحل نزوله كما يتم ترسب كمية كبيرةمن التربة والمواد العضويةالعالقة بالماء أثناء ذلك[22]

على تقدمهم في المجالات كافة ، ولما كانت الزراعة إحدى الجوانب الحضارية فلا بد انهم كانوا ذا أثر واضح في هذا المجال .

وكانت السلطة المركزية هي التي تهتم بالأراضي وتوزيعها ، وقد أشار (سترابو) إلى التصاق الأنباط ببيئتهم الزراعية واهتمامهم بالملكية والحرص على الملكية الفردية الخاصة [2] ، حيث قال : "أن الأنباط كانوا ميالين في طبعهم إلى التملك ويفرضون غرامة على من تنقص ثروته وأملاكه ويكافؤون من يضاعفها"[3] .

ولكن من المؤسف إننا لا نملك شواهد كتابية لنا كيفية توزيع الأراضي عند الأنباط ، ففي حضارة وادي الرافدين توضع علامات خاصة تحدد ملكية الأراضي وتبعيتها وتسمى هذه العلامات "الكود ورو" [4] ، أما في بلاد اليمن فتسمى "بالوثن"[5] . ولذلك فما هو متبع عند أهل اليمن من ملكية للاراضي واسلوب توزيعها نفترضه عند الأنباط فملكية الأراضي عند العرب قبل الإسلام تقسم إلى قسمين :-

1- أراضٍ يملكها الأمراء وشيوخ القبائل .
2- أراضٍ يملكها المعبد .

وتدخل أراضي النوع الأول ضمن الملكية الفردية وهم الملاك من فئة المواطنين الأحرار الذين يتمتعون بكامل حقوقهم في التملك ، وكذلك يتمتعون بامتيازات اقتصادية وسياسية[6] .

وهنا لا بد أن نفرق ما بين الملكية الخاصة وبين أراضي القبيلة[7] ، ويظهر ان هذا النمط من الملكية ظهر في بلاد العرب لا سيما في اليمن منذ الألف الأول قبل الميلاد ، وكان هذا هو الشكل الأساسي للملكية الزراعية [8] ، اما ملكية القبيلة فهي الأراضي التي يشتريها الشيخ باسم القبيلة وتعطى عادة وثيقة تبين حدود الأراضي كما توضح الواجبات المترتبة على ذلك ، وتبين هذه الوثيقة مسؤولية شيخ القبيلة مباشرة تجاه الحكومة المركزية ، ويضيف (ديكمانس) إلى ذلك "أن القبائل المالكة كان يضاف إليها جماعات من قبائل أخرى فرضتها الظروف ودعت إليها الحاجة "وعلى هذا النحو ظهر نمو الملكية للأراضي عند العرب قبل الإسلام [9] . أما أراضي النوع الثاني فهي الأراضي التي تعود إلى المعبد أو ما يسمى حمى المعبد الذي يؤجر إلى القبيلة أو إلى سدنة المعبد التي تستثمر الأراضي لصالحها وتدفع جزءاً صغيراً منها إلى المعبد[10] . ويظهر أن هذين النوعين من الملكية الزراعية المنتشرة في بلاد العرب قبل الإسلام هو ما نفترضه عند الأنباط من حيث توزيع الأراضي أو ملكيتها أما في ما يخص كبار الملاكين ورؤساء القبائل فلم يكونوا يدفعون إلى حكوماتهم إلا جزءاً صغيراً من دخلهم الذي يحصلون عليه من الزرع فقد كانوا يتحايلون عليها عند تقدير غلاتهم كما كانوا يحملون المزارعين والمستأجرين لأملاكهم وأفراد قبيلتهم العبء الأكبر من دفع الضرائب ، فقد كانوا يقومون بأنفسهم بجمع الغلة وتوزيعها وإفراز حصة الحكومة وحصة

الزراعة عند الأنباط

خالد أكرم الحموري

البحث في أصول الحضارات هدف نبيل يجعلنا نقدّر ما وصلت إليه حضارتنا العربيّة من تقدّم وازدهار وبه ندرك أنّ التنظيمات الراقية لحضارتنا لم تأت من فراغ وإنّما جاءت كامتداد تأريخي لأصول هذه الحضارات الزاهرة. كما ندرك أيضاً أنّ التاريخ العربي قبل الاسلام لم ينل العناية الكافية من قبل الباحثين القدامى والمحدثين إلاّ حظّاً يسيراً. من هنا جاء اهتمامي بهذا النوع الصعب من الدراسات عن واحدة من الممالك التي قامت في شمال غرب الجزيرة العربيّة وهي مملكة الأنباط.

وقد كان الأنباط وما زالوا محوراً لاهتمام بعض المستشرقين والمؤرخين كما عمل الآثاريون على اكتشاف ما هو غامض من حضارتهم وتسليط الأنوار عليها عبر عمل شاق خلال هذا القرن، فكانت الدراسات العلميّة المستندة على ما أكتشف من آثار والتي شملت كافة نواحي الحياة، التجارة وطرق القوافل والزراعة والرعي والمجتمع والدين ودورهم السياسيّ وأثره على المنطقة... الخ. وكل ذلك يعكس أهميتهم وتأثرهم بالبيئة المحليّة وأثرهم عليها.

وسأتناول هنا الانظمة الزراعيّة والأساليب المتبعة في مجال تطوير الزراعة، اضافة إلى التطور في تنظيمات الري والآبار والقنوات والسدود والبرك والخزانات المائية، وكذلك الحديث عن الأسس الزراعيّة المتبعة في ضوء ما أشارت إليه المصادر التاريخية مع ذكر أشهر المحاصيل التي اهتمّ الأنباط بزراعتها في مناطقهم.

وفي ضوء ما أشارت إليه المصادر من أنّ الأنباط كانوا في طبعهم ميّالين إلى التملّك، لا بدّ من الحديث عن الملكيّة الزراعيّة محاولاً رسم صورة لهذا المجتمع لم تكن واضحة من قبل وخاصّة باللغة العربيّة.

الملكيّة الزراعيّة:

عاش الأنباط في البداية حيلة بدويّة قائمة في أساسها على الرعي وكان من أمهات قوانينهم تحريم العمل والاشتغال في الزراعة وهذا ما أشار إليه ديدور الصقلي، حيث قال عنهم "كانوا يعيشون حياة بدويّة في حمى صخرة منيعة، ومن قوانينهم تحريم بناء البيوت واستعمال الخمور والاشتغال بالزراعة" (1).

وفي رأينا أنّ هذا يمثّل الأدوار الأولى من حياتهم فالمتتبع لحضارة الأنباط يجد تطوراً في الحياة الزراعيّة لأنّهم أنتجوا حضارة ومدنيّة راقية بقيت آثارها شاخصة تدلّ دلالة واضحة

ومن عادات دفن الموتى القديمة، والتي ما زالت مستخدمة حتى يومنا هذا، هو أنّ الميّت إذا كان رجلاً، فإنّهم لدى دفنه يضعون فوق القبر حجراً عند رأسه وآخر عند قدميه. وإذا كان المدفون إمرأة، فإنّهم يثبّتون حجراً عند رأسه وحجرين عند قدميه، وذلك للتفريق بين أجناس الموتى. ويمكن فهم هذه الممارسة إذا علمنا بأنّ عادة وضع الشاهدات التي تُعرّف بشخصيّة الميّت ليست منتشرة كثيراً في معظم الدول الإسلاميّة.

ومن ذكريات شباب المنطقة أنّهم عندما كانوا صغاراً في الستينيات والسبعينيات، فإنّهم كانوا يعثرون على عُمُلات معدنيّة كانت تبدو قديمة جداً. وكانت عليها كتابات يعتقدون أنّها فارسيّة. وكان الإنكليز الذين يمرّون بالمنطقة يشترونها منهم بثمن لا بأس به.

ويؤكّد السكّان على أنّهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن المدافن الأثريّة التي تمّ اكتشافها مؤخراً في جبل بحيص.

ويتذكّر الكثيرون أنّهم رأوا حيوانات وحشيّة في عقود مضت، مثل الذئاب والضباع وحيوانات أخرى مثل الغزلان التي كاد الصيد أن يقضي عليها.

ومن وسائل التحديث التي عرفتها القرية مدرسة الأطفال التي تمّ افتتاحها سنة ١٩٧٣، وإنّ الدور الحديثة المعروفة بـ "الشعبيّة" بدؤوا في بنائها سنة ١٩٧٧. وإنّ أوّل مولّد كهربائي وصل إلى المدام كان سنة ١٩٧٨.

الهوامش

1- أنوين ب. ت. هـ: *الزراعة في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة*. ترجمة فؤاد محمّد الصقّار. نشر قسم الجغرافية بجامعة الكويت، بدون تاريخ.

2- عبد الرحمن، عبد اللّه: *نبض الأصالة في روح المسيرة*. جمعيّة إحياء التراث الشعبي بدولة الإمارات العربيّة المتحدة. بدون تاريخ.

3- *الفنّ والتراث الشعبي* - مجلّة نصف سنويّة تُصدرها جمعيّة النخيل للفن والتراث الشعبي. العدد الثامن - السنة الرابعة، رأس الخيمة، ديسمبر ١٩٩٩.

4- القاسمي، خالد بن محمّد: *الإمارات العربيّة المتحدة - تاريخ وحضارة*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندريّة - ١٩٩٨.

5- كوردوبا، خواكين وآخرون: *ثقافة ومحيط مجموعة سكنيّة تعود إلى العصر الحديدي في شبه جزيرة عُمان: أربع بعثات في المدام* (الشارقة - دولة الإمارات العربيّة المتحدة) بحث غير منشور.

6- مُبارك علي بن حنيفة، بن علي: *إمارة الشارقة - دراسة في جغرافية السكّان*. منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة - ١٩٩٧.

يتعلّموا العادات الإجتماعيّة والتقاليد التي جرى عليها المجموع والتي يُطلب من الجميع تطبيقها.

أمّا فيما يتعلّق بالزراعة، فإنّ المسنّين يذكرون بأنّهم تلقّوا الكثير من المعلومات والأخبار الشفويّة المرويّة جيلاً عن جيل والتي تؤكّد على أنّ المدام كانت جنّة بفضل الأفلاج التي كانت تجلب المياه إليها من جبال عُمان وكانت تسقي أراضي الواحة. وتروي الأخبار بأنّ المنطقة قد مرّت في فترات جدب وجفاف لأكثر من مرّة.

وفي تاريخها الحديث عرفت المنطقة ومنذ الستينات فترة إزدهار كبير، بفضل وصول مضخّات المياه وبفضل الجمعيّة الفلاحيّة التي تمّ تأسيسها في أواسط هذا العقد بدعم ومساعدة الحكومة الكويتية، حسبما يتذكّر أبناء القرية.

وبدأت تزدهر مزارع لأشجار النخيل وزراعات أخرى كالقمح والشعير والجت. والكثير من الأراضي التي تحوّلت إلى مزارع غنّاء تمّ شراؤها من طرف مواطنين من أبو ظبي والعين.

وقد أدّى إنتشار المزارع بالمدام إلى تغيير بعض عادات السكّان، فهجروا نوعمّا حياة التنقل بين الوادي والجبل، وصاروا يهتمّون بالمزارع وقطعان الماشية.

وحلّت في السنوات الأخيرة فترة جفاف قاسية، وأصبحت المياه الجوفية التي يعتمد عليها السكّان أصلاً للشرب والزراعة غائرة وبعيدة عن سطح الأرض، وصار معدّل عمق الآبار في حدود ثمانين قدماً. هذا بالاضافة إلى درجة ملوحة الماء التي ارتفعت بشكل كبير.

وبخصوص التجارة فإنّ المسنّين من أبناء القرية يتذكّرون كيف كانت المنطقة تُنتج قبل عقود الفحم النباتي الذي كان يُصنع من خشب شجرة السّمر خاصّة. ويقولون إنّ الفحم كان يُؤخذ على الجِمال إلى دُبي والشارقة فيبيعونه ويشترون بثمنه التمور والقمح.

وكانت المدام موقعاً تتقاطع به الطرق التجاريّة، فكانت القوافل القادمة من الشارقة والمتوجهة إلى العين تمرّ بها. وكذا تلك التي تأتي من عُمان متجهة نحو الجنوب. وبسبب وفرة الآبار بالمنطقة فإنّ التجار كانوا يجدون أنفسهم مضطرّين للمرور بها والتزوّد بالماء وريّ حيواناتهم منها. وكانت طريقة سحب المياه من الآبار حتى وقت قريب تقليدية تتمّ بواسطة الدلاء والأرشية التي كانت الثيران تعمل على جرّها من أعماق تلك الآبار.

وهناك بعض الأساطير التي يرويها أبناء المنطقة، منها أنّ فخذاً من قبيلة "بني كتب" والتي تُقيم في هذه الواحة منذ القديم، هاجمت فخذاً آخر لخلاف نشب بينهما. وقامت العائلة المعتدية بقتل رجال المُعتدى عليها ودفن منازلهم بالرّمل. ومنذ تلك اللحظة أصبحت هذه العائلة معروفة بإسم "الدّفين" إشارة إلى تلك الحادثة. وبعد مرور فترة زمنيّة أرادت عائلة الدفين الأخذ بالثأر فهاجمت العائلة المعتدية وعملت على تصفية رجالها. ومنذ ذلك الحين صاروا يُسمّون بـ "أمّ صفاة"، أي هؤلاء الذين تمّت تصفيتهم.

التغذية والزراعة والثروة الحيوانيّة وطرق المواصلات وغيرها من المعلومات. وكذا محاولة التعرّف على المرحلة التحوليّة حتّى فترة ما قبل الإسلام.

وخلال سنوات التنقيب قام أفراد البعثة الإسبانيّة وكلّ حسب اختصاصه، بدراسة كلّ ركن من أركان منطقة المدام، سواء ما يخصّ المعطيات الطبيعية أو الأثريّة. وقامت بدراسات للحفريات في أكثر من موقع بالمدام، سواء في مدافن أو في بيوت تعود إلى العصر الحديدي[9].

سكّان المدام الحاليّون وبعض من ذكرياتهم

خلال الحملة الأخيرة التي قامت بها البعثة الإسبانيّة للمنطقة في شهر فبراير (شباط) ٢٠٠٠، حاولنا الاتصال ببعض سكّان القرية، غير أنّ مفاجأتنا كانت كبيرة عندما اكتشفنا بأنّ معظم سكّان المدام قد هجروها للعيش في المساكن الجديدة "الشعبيات"، والتي بنيت على شكل مجمعات موزعة حول القرية القديمة في محيط لا يتجاوز مسافة عشرة كيلومترات. وقد أخبرنا البعض بأنّه لم يبق فى القرية الأصليّة إلاّ عائلتان. وتتميّز الدور الحديثة بتوفّر وسائل الراحة فيها كالماء الجاري والكهرباء وغير ذلك.

ولم يكن من السهل الاتصال ببعض السكّان القدماء للقرية من الذين يعيشون حالياً في الشعبيات، وذلك لأنّ غالبية الرجال يعملون بعيداً عن القرية. فمنهم الموظفون الذين يعملون في الشارقة أو العين. ومنهم من يقضي نهاره يتفقّد المزارع أو قطعان الماشية التي يملكها. وبعد جهود مضنية استطعنا أن نتحدّث إلى البعض منهم والذين استقبلونا استقبالاً طيباً وفتحوا لنا أبواب بيوتهم وأكرمونا وبذلوا لنا من وقتهم، ثمّ رافقونا لمشاهدة بعض الآثار الباقية بالمنطقة، مثل بقايا فلج المدام وآثار برج يبدو أنّه يعود للفترة الاسلامية وبيوت تقع في أرض مملوكة للخاصّة ربّما تعود إلى العصر الحديدي.

يتذكّر كبار السنّ في القرية فترة طفولتهم وكيف كانت بيوتهم مصنوعة من شعر الماعز ووبر الجمل، وكيف كانت مجموعة من الخيام تشكّل مسكناً لعائلة كبيرة، حيث كانت تُرفع بعضها قرب البعض الآخر. وكانت مجاميع الخيام تكوّن الضيعات والقرى التي بها فضاءات مشتركة. وكانت "الحضيرة" أهمّ مكان لاجتماع أبناء القرية، حيث يلتقي الرجال بعد الفراغ من أعمالهم لتناول القهوة أو التحدّث في مختلف الشؤون أو لأداء الصلاة أو لحلّ المشاكل التي تؤثّر على واحد أو أكثر من أبناء القرية.

وكان للشيخ الذي يتمّ اختياره بالتراضي نفوذ كبير، وكانت كلمته مسموعة من قبل الجميع ورأيه كان بمثابة الحُكم الذي لا يقبل الردّ. ويُذكر بأنّ شيوخ القرية هم من عائلة "هويدن". وكان الأطفال يحضرون تلك المجالس منذ حداثة سنّهم من أجل أن

9- خواكين كوردوبا وآخرون: ثقافة ومحيط مجموعة سكنيّة تعود *إلى العصر الحديدي في شبه جزيرة عُمان: أربع بعثات في المدام* (الشارقة – دولة الإمارات العربيّة المتحدة) بحث غير منشور، ص٢.

الطينية جزءاً خاصّاً يسمّى "القطيعة" أو "الزويّة" لاستخدامها للاستحمام"[8].
أمّا البدو من سكّان البراري والكثبان الرمليّة والذين تعتمد حياتهم على الترحال، فتكون بيوتهم سهلة الحمل ومصنوعة من الشعر والوبر. ويسكنون في فصلي الشتاء والرّبيع في الأماكن التي تتوفر فيها المراعي والعشب والخضرة وتتساقط بها الأمطار. أمّا في فصلي الصيف والخريف فيتركون الصحاري ويذهبون إلى المناطق التي توجد بها مصادر المياه.

وتقع المدام ضمن منطقة استقرار يصنفها الجغرافيون في إطار المراكز التي توجد عند نهاية الأودية التي تنحدر من رؤوس الجبال غرباً نحو ساحل الخليج العربي، مثلها مثل فلج المعلاّ والمنامة والذيد ومليحة.

وتعدّ واحة المدام من أهمّ المراكز الزراعيّة في إمارة الشارقة حيث المزارع وأشجار النخيل والقرى المنتشرة على أراض تمتدّ على طول عشرة كيلومترات من الشمال نحو الجنوب وفي حدود أربعة كيلومترات من الشرق إلى الغرب.
وتقع في السّهب الزراعي المحاذي للسلسلة الجبليّة من جهة الغرب. وتساعد التركيبة الجيولوجيّة للمنطقة على إلتقاء المياه الجوفيّة تحت أرضها، الأمر الذي سهّل وجود تجمّعات سكّانيّة على مرّ العصور.

البعثة الأثريّة الإسبانيّة

إنّ من أوائل بعثات التنقيب عن الآثار في هذه المنطقة كانت البعثة العراقية في عام ١٩٧٣، والتي زارت هذا المكان وعثرت على بعض الآثار المبنيّة بالحجارة في سفوح جبل بحيص تعود إلى العصر الحديدي. وبعد مرور أربعة عشر عاماً على ذلك التاريخ قامت بعثة من مديرية آثار الشارقة برئاسة ناصر العبودي باجراء تنقيبات بمنطقة ثُقيبة الواقعة في الطرف الجنوبي من واحة المدام. وتمّت التنقيبات في بيت في حالة جيّدة يعود إلى فترة متأخرة من العصر الحديدي. وجاءت بعدها بعثة فرنسية فاكتشفت ما بين سنة ١٩٩٠ و١٩٩٣ الكثير من المناطق الأثريّة بهذه الواحة، يعود بعضها إلى العصر البرونزي وبعضها الآخر إلى العصر الحديدي وكذا إلى الفترة الإسلاميّة.

وفي عام ١٩٩٤ بدأت بعثة أثريّة مشتركة من جامعة "أوتونوما" بمدريد وجامعة "ليون" الفرنسية للقيام بحملة تنقيبات بمنطقة المدام، وذلك بالتعاون مع مديرية الاثار لإمارة الشارقة. وقد انضمّ إلى البعثة سنة ١٩٩٦ مجموعة من الباحثين من الجامعة التكنلوجية بمدريد. ثمّ عادت بعثة جامعة "أوتونوما" الإسبانيّة للتنقيب في السنوات الأخيرة بصورة مستقلّة.
وقد جعلت البعثة من بين أهدافها الأساسيّة دراسة فترة العصر الحديدي باعتبار الظروف المحيطة واستغلال الموارد المتوفرة والتغييرات التي طرأت بالمنطقة وعادات

8- *الفنّ والتراث الشعبي* - مجلّة نصف سنويّة تُصدرها جمعيّة النخيل للفن والتراث الشعبي. العدد الثامن - السنة الرابعة، رأس الخيمة، ديسمبر ١٩٩٩، ص٤٩-٥٠.

ولونه إمّا ترابيّ مائل للصفرة أو ترابيّ أسود. وقد يصل طوله إلى ما يُقارب المتر، وهو غير سام. ومن العظايا السّامّة "الوحرة" ذات اللّون الأخضر المصفرّ اللامع. أمّا الزواحف فتشمل الحيّات وأغلبها سامّ، ومنها الأفعى الغبراء أو الحمراء والتي لا يصل طولها إلى المتر الواحد. ثمّ الحنيش الرّمادي المائل للسواد وحيّة التبن المرقّطة. أمّا العقارب فهي الأخرى منتشرة كثيراً، عدا مناطق السبخات الملحيّة. وهناك نوع منها يميل لونه إلى الصّفرة وهو سامّ جداً.

النباتات

أمّا أنواع الأشجار المتوفرة هناك فمنها: أشجار الغاف والأرطة والأثل والسّمر، وهي من الأشجار الدائمة الخضرة.

ومن النباتات والأعشاب التي تنمو في الإمارات: نبات الحنظل الزاحف والنصي وهو غذاء جيّد للجمال ولباقي الحيوانات. وكذا "القرنة" و"الرّابي" و"الكحل". ثمّ النباتات التي توجد في مسطحات السبخات والسواحل المستنقعيّة مثل "اليعاضد" و"الثمام" و"العزيرة" و"الذانون" و"البقرو" و"القطفة" و"المرار" و"السعدان".

وهناك نباتات وأعشاب تدخل ضمن غذاء الإنسان مثل "البصملي" و"العرايين". ومنها ما يُستخدم دواء مثل عُشبة "الجعد" التي تُستخدم للشفاء من الحمّى. ويُستخدم المسحوق اليابس لنبات "الشنان" بمثابة الصابون وهو ينمو في الأراضي الملحيّة.

وهناك الكثير من الشجيرات التي تشكّل المصدر الرئيسي لطعام الجمال مثل "الخراز" و"الرّمث" و"العرّاد". وتوجد أنواع كثيرة أخرى مثل "الطرفاء" و"السّدر" و"الأشخر" و"الأرطة" وغيرها.

ويُعتبر حطب "السّمر" من أجود النوعيّات المستخدمة للفحم. أمّا شجرة "الغاف" فتنمو في المناطق الرمليّة والسهول. وهي من أضخم الأشجار التي يمكن رؤيتها في دولة الإمارات، إذ يصل معدّل إرتفاعها إلى ما بين ٥ و٦ أمتار، ولها غصون وفروع وأوراق كثيفة[7].

طبيعة الحياة

تتناسب البيوت الريفيّة مع معيشة القرويين وحياتهم. ففي فصل الشتاء "يسكنون في البيوت المصنوعة من اللّبن والقَشّ أو المدر "الطين"، وتُسمّى المخازن المصنوعة من الطين. وكذلك يسكنون في الخيام المصنوعة من خوص النخيل لما لهذا الفصل من طبيعة خاصّة ولما للّبن والقشّ من فاعليّة في الدفء ومنع البرودة. أمّا في فصل الصيف فتُصنع البيوت من سعف النخيل وجريدها ويُسمّى "العريش"، إذ يُغرس الجريد في الأرض ويسمح بالتهوية (...) وتحوي هذه العُرش والخيام والبيوت

7- عبد الله عبد الرحمن: *نبض الأصالة في روح المسيرة*. جمعيّة إحياء التراث الشعبي بدولة الإمارات العربيّة المتحدة. بدون تاريخ، ص١٦٨.

أمّا الدين الاسلامي فقد دخل المنطقة على يد القائد عمرو بن العاص (٦٦٤م)، وأصبحت في العصر الأموي واحداً من المراكز التجاريّة والملاحيّة المهمّة. وتطورت على سواحلها صناعة السفن التي كانت معروفة آنذاك[5].

وبحكم الموقع الجغرافي للمدام، ولكونها أحد المراكز العمرانيّة شأنها شأن قرى أخرى مثل "الذيد" و"مليحة" فقد كان لها دور الوسيط بين الساحلين الشرقي والغربي لتواجدها عند معابر الطرق السائرة غرباً أو شرقاً عبر الأودية التي بقيت حتّى يومنا هذا المعابر التي تمرّ بها القوافل والسيّارات.

وحسب إحصاء التّعداد العام للسكّان لسنة ١٩٨٠ فإنّ عدد سكّان المدام آنذاك كان ٨٢٨ نسمة، والذي من المتوقّع أن يكون تضاعف حالياً بناء على مُعطيات النموّ السكّاني في إمارة الشارقة خصوصاً وفي الإمارات بشكل عام[6].

وللأمطار دور مهمّ في طبيعة توزيع السكّان وخاصّة لدى المجتمعات الصحراويّة التي تتأثّر بشكل أكبر بهذا العنصر الحيويّ. وسقوط الأمطار قليل عادة في تلك البقاع، حيث أنّ المعدّل السنويّ لها لا يتجاوز ١٠٠ملم إلاّ في القليل من الأحيان.

وبالإضافة إلى الأمطار فإنّ توفّر مصادر المياه سواء السطحيّة منها كالعيون أو الجوفيّة كالآبار، ومدى صلاحيّة الأراضي للزراعة، كان لكلّ ذلك الأثر البالغ في تمركز السكّان ضمن مجموعات في قرى وضيعات.

وهذه الظاهرة تبرز بوضوح في السهل الحصوي من خلال المجاميع السكنيّة في الذيد وحمدة ومليحة والمدام والرّفيعة. وقد شهدت هذه المناطق خلال العقود الأخيرة تنمية زراعيّة واسعة وذلك باستصلاح الأراضي وحفر الآبار وإقامة المزارع التي أصبحت منتجعاً للموسرين من السكّان لقضاء فترات من الرّاحة والاستجمام فيها.

الحيوانات

وفي هذا الموقع كما في معظم مناطق الإمارات حيوانات يقوم البدو برعيها مثل الإبل والأغنام والماعز. ويرعى سكّان المناطق الزراعيّة الأبقار والخيول والبغال والحمير كذلك.

وتوجد أيضاً حيوانات أخرى مثل الغزلان والوعول والمها والأرانب. كما توجد حيوانات متوحشة كالذئاب والضباع والثعالب والنمور والفهود. هذا بالاضافة إلى الطيور وخاصّة منها العقبان والصقور. وكذا الشاهين والحبارى والكروان والقطا والغربان والهدهد وطيور البحر بأنواعها والبوم والقبّرة والسنونو والبلبل.

وتُعرف بالمنطقة حيوانات أخرى مثل الهرّ الوحشي والظربان (الضباحة) والأرانب البريّة. وتنتشر الفئران والقنافذ والخفافيش في معظم المناطق بالإمارات. وهناك أنواع من العظايا والزواحف والعناكب والعقارب وحشرات أخرى. وهناك الضبّ

5- المرجع السابق، ص٣٦.

6- المرجع السابق، ص١٨٢.

والثروة السمكيّة عام ١٩٨٠ بتنظيف خمسة منها[2].
أمّا فيما يتعلّق بالمياه الجوفيّة، فهي تختلف في وفرتها من منطقة إلى أخرى. ويبدو أنّ مستوياتها قد هبطت في السنوات الأخيرة بشكل مقلق. ثمّ إنّ نسبة الملوحة أخذت ترتفع فيها بسبب تسرّب مياه البحر، وخاصّة في المناطق القريبة من الساحل، علماً بأنّ المناطق الداخليّة هي الأخرى تُعاني من هذه المشكلة.

وتقوم سياسة الإمارات منذ تأسيسها كاتّحاد فيدرالي على محاولة توفير الأمن الغذائي وتحسين المناخ ومنع زيادة التصحّر وحماية البيئة من التلوّث. ولهذا فقد شهد قطّاع التشجير والزراعة تطوراً مهمّاً، وتحوّلت الكثير من الأراضي القاحلة إلى مناطق زراعيّة وبساتين. وتمّ استخدام التقنيّات المتطورة في الزراعة بما فيها البيوت المحميّة والأساليب الحديثة في الريّ. وقد بلغ مجموع مساحة المزارع في الإمارات حتى عام ١٩٩٤ حوالي ٨٦ ,٧١١ دونماً[3].

السكّان

وبخصوص الأصول التاريخيّة لسكّان إمارة الشارقة، فإنّ الإكتشافات التي قامت بها بعثات التنقيب المختلفة إلى هذه المنطقة تؤكّد بأنّها كانت مسكونة من قبل جماعات بشريّة تعود إلى العصر الحجري الحديث. وتدلّ الآلات التي تمّ العثور عليها بأنّ هؤلاء السكّان كانوا يعرفون الزراعة.
وقد بدأت البعثات الأثريّة نشاطها في هذه الإمارة سنة ١٩٥٨، وتمّ العثور على مواقع أثريّة مهمّة، منها بعض المدافن الواقعة إلى الشمال من مدينة الشارقة والتي يعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد تقريباً. وكذا موقع قرية "المليحة" والذي يعود ما تمّ إكتشافه فيها إلى القرنين الرّابع والثالث قبل الميلاد[4].
غير أنّ أصول تلك المجموعات السكّانيّة التي أقامت بهذه المنطقة غير معروفة بشكل دقيق ولا يُعرف بأيّة لغة كانوا يتحدّثون. وهناك إعتقاد بأنّ أصول البعض منهم تعود إلى اليونانيين، أو هم من السكّان المحليين الذين تأثّروا بالحضارة اليونانيّة.
ويميل بعض المؤرخين إلى الإعتقاد بأنّ الفينيقيين كانوا من أوائل الجماعات السكّانيّة التي استوطنت ساحل عُمان والخليج، قبل أن تنتقل إلى مراكزها على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط. ويؤكّد البعض على أنّ القبائل العربيّة هاجرت من اليمن بعد إنهيار سدّ مأرب واستقرّت بهذه المناطق. وتشير مراجع أخرى إلى أنّ عدداً من القبائل وفدت من قلب الجزيرة العربيّة وشمالها واستقرّت بهذه الجهات بعد القرن الخامس الميلادي.

2- المرجع السابق، ص٢٠.

3- خالد بن محمّد القاسمي: *الإمارات العربيّة المتحدة - تاريخ وحضارة*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندريّة - ١٩٩٨، ص١٢٩.

4- علي بن مُبارك علي بن حنيفة: *إمارة الشارقة - دراسة في جغرافية السكّان*. منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة - ١٩٩٧، ص٣٦.

المدام (الإمارات العربيّة المتّحدة): نظرات في الطبيعة والسكّان

وليد صالح الخليفة

جامعة "أوتونوما" بمدريد

تقديم

بما أنّ موارد المياه والزراعة في أي منطقة تشكّل العنصر الأساسيّ للتجمعات السكّانيّة منذ قديم الزمان، فإنّنا نبدأ حديثنا عن منطقة المدام بهذه النقطة الجوهريّة التي كان لها الأثر البالغ في تنقّل البدو منها وإليها تبعاً لوفرة أو ندرة الماء، هذه المادّة الأساسيّة التي لا حياة بدونها. وسنتعرّض كذلك لنقاط أخرى لها صلة بحياة السكان بشكل أو بآخر، كالظروف الطبيعية والتجارة وغير ذلك.

تنقسم دولة الإمارات العربيّة إلى أربعة أقاليم زراعيّة، وهي: الإقليم الشّمالي والأوسط والشّرقي والجنوبيّ. وتقع منطقة المدام في الإقليم الأوسط الذي يشمل بالاضافة إليها الذيد وفلج المعلاّ ومليحة ومصفوت.

والمدام هي من أعمال إمارة الشارقة. ويملك الحاكم مُعظم الأراضي ملكيّة مباشرة، مع أنّ هناك بعض الأراضي المملوكة للمواطنين ملكيّة مطلقة بسبب شرائها في الماضي. وتوجد أراض أخرى أُعطيت للمواطنين لاستغلالها فقط[1].

وتعود الأنشطة الرئيسيّة لوزارة الزراعة والثروة السمكيّة في الإقليم الأوسط إلى عام ١٩٧٨، حيث تمّ انشاء محطّة للتجارب الزراعيّة في الذيد مساحتها ٨٠٠ دونم، وبها أربعة أقسام رئيسيّة وهي: زراعة الحدائق (البستنة) والرّي ووقاية النباتات والأسمدة. وقد عرف هذا الإقليم خلال تلك الفترة إنتاجاً لا بأس به للخضروات والفواكه، مثل الطماطم والسلق والبصل والبطيخ. واعتباراً من سنة ١٩٨٠ تمّ تجريب زراعة الحمضيّات المستوردة من إسبانيا وإيطاليا، وكذا المانجو والتين والبنّ. ويتمّ في الكثير من المزارع استخدام أسلوب الريّ بالتنقيط.

الماء

أمّا موارد المياه فتنقسم إلى قسمين: مياه سطحيّة ومياه جوفيّة. فالمياه السطحيّة تشتمل على الأفلاج والعُيون. وتُشير الإحصائيات إلى أنّ هناك ٣٠ فلجاً معروفة في دولة الإمارات كاملة. وتمتدّ تلك الأفلاج ما بين كيلومتر واحد وستّة كيلومترات، ويتراوح عمقها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار. وقد قامت وزارة الزراعة

1- ب. ت. هـ. أنوين: *الزراعة في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة*. ترجمة فؤاد محمّد الصقّار. نشر قسم الجغرافية بجامعة الكويت، بدون تاريخ. ص٢٧-٢٨.

فهرست الموضوعات العربيّة:

دراسات عن بلاد العرب القديمة

المؤلف	الموضوع	الصفحة
١- وليد صالح الخليفة	المدام (الإمارات العربيّة المتّحدة) نظرات في الطبيعة والسكّان.	
٢- خالد أكرم الحموري	الزراعة عند الإنباط	

لدراسة العبرية والسريانيّة والعربيّة والأثيوبيّة باشراف السيّد "پ. خواكين ماريا پنويلا"، مدير معهد "فرانثيسكو سواريث" من المجلس الأعلى للبحث العلمي (C.S.I.C.) ودرس في كليّة الفلسفة والآداب بجامعة مدريد ما بين ١٩٥٨ و١٩٦١ دورات في اللغة والأدب الأكديين، وكذا درس ما بين سنة ١٩٦١ و١٩٦٤ فقه اللغات الكلاسيكلة واللغة العربيّة. وقد دفعه حبّه للغات إلى دراسة لغات أخرى مثل الآرامية والقبطيّة والسومرية باندفاع كبير.

ومنذ سنة ١٩٦٣ وخلال أربعة وثلاثين عاماً مارس عمله كمدرّس للغات الكلاسيكية والعبرية في المدرسة الإكليريكية بمدريد، وفيما بعد في مركز الدراسات اللاهوتية "سان داماسو"، والذي تحوّل فيما بعد إلى "كليّة سان داماسو للاهوت". وقد جعله صبره الكبير واهتمامه الدائم بطلابه يعرفهم لا بالنصوص الدينية فحسب بل كذلك بالأدب الكلاسيكي والشرقي، الأمر الذي أدى إلى ظهور ثمار ذلك الجهد من خلال تلامذته الذين هم اليوم أساتذة في مختلف الكليات والمراكز سواء المدنية أو الدينية الكنسية. ولم يقتصر عمله التعليمي على قاعات الدرس في المدرسة الإكليريكية، لأنّه درّس ولمدة عشر سنوات اللغة الأكديّة في "جامعة كومبلوتنسي" بمدريد، حيث كان رائداً حقيقياً فى مثل هذه الدراسات المرتبطة باللغات الشرقيّة. وهو يعمل مشكوراً وبتفانٍ منذ سنة ١٩٨٩ وحتى الآن في "المعهد الأبرشي سان خوستينو لفقه اللغات الكلاسيكية والشرقيّة". والذي يعلّم فيه العبرية والأكديّة والسومرية والقبطية والأثيوبية من أجل تكوين متخصصين يمارسون عملهم في مختلف الأقسام بالجامعات الاسبانية والأجنبيّة. وبصمت وصبر دائبين قام بانجاز عمل يشكر عليه في ميدان فقه اللغات الشرقيّة إذ تمكّن من خلال تكوين عدد من الطلبة من ادخال بعض المواد في البرامج الدراسيّة للجامعات الاسبانيّة. وقد تركت الأعوام الطويلة التي خصصها للتعليم آثاراً لا تمّحي في الكثير من طلابه الذين لم يعرفوا فيه مدرساً عالماً فحسب بل أستاذاً أصيلاً.

وكان ما بين سنة ١٩٧٤ و١٩٧٧ عضواً في اللجنة الاستشاريّة لمجلة "دفاتر الانجيل"، والتي كان مشاركاً دائماً فيها. وهو أيضاً عضو في اللجنة الاداريّة للسلسلة وحيدة الموضوعات "الدراسات السامية للعهد الجديد" وذلك منذ تأسيسها سنة ١٩٩٢.

وفي الثاني من أغسطس عام ١٩٩٧ تمّ تعيينه حبراً شرفياً لقداسة البابا، اعترافاً بجهوده.

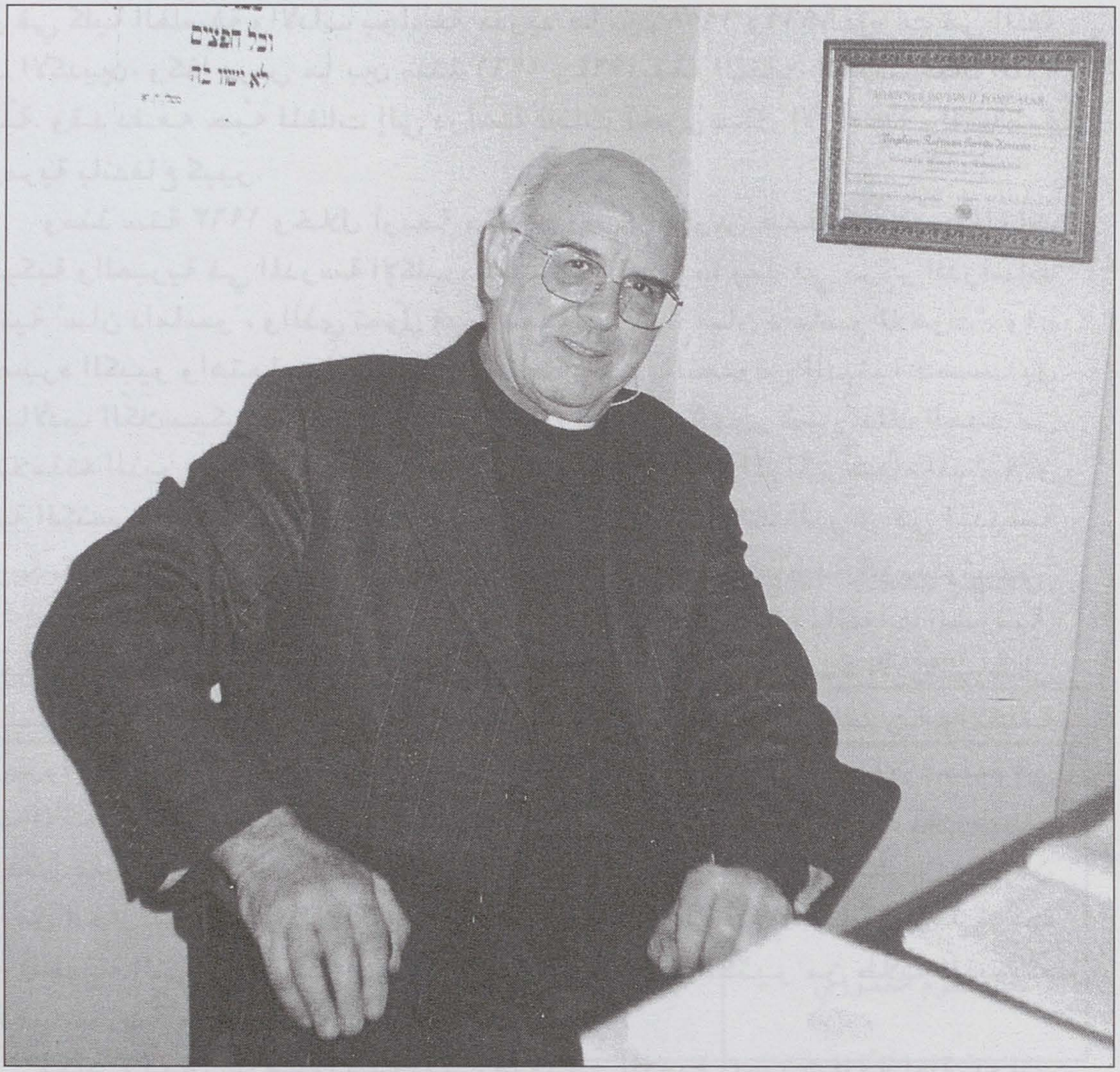

سيرة حياة

وُلد السيّد "أنخيل روفينو جاريدو هيرّيرو" في "كونديميوس دي أريبا" باقليم "وادي الحجارة" في الأول من أكتوبر عام ١٩٢٧. وعندما كان عمره اثني عشر عاماً دخل إلى مدرسة مدريد الإكليريكيّة، حيث درس العلوم الانسانيّة والفلسفة واللاهوت. وكانت أعواماً قاسية لما بعد الحرب، والتي استطاع طلاب المدرسة المذكورة الاتصال بشخصيات مثل السيّد "خوسى ماريا جارثيا لاهيغيرا". وفى التاسع عشر من مايو عام ١٩٥١ تمّ تعيينه كاهناً، وهي المهمّة التي مارسها حتى سنة ١٩٥٣، حيث طلبه مطران مدريد السيّد "ليوپولدو أيخو إي جراي" والذي كانت قد طرأت له فكرة تكوين فرقة من الكهنة الأبرشيّة لدراسة اللغات الشرقيّة. ومنذ تلك اللحظة وبالاضافة إلى ممارسة مهمته الدينية التي أضاف إليها اعتباراً من سنة ١٩٥٧ وظيفة تدريس الدين في ثانوية "إيزابيل الكاثوليكيّة"، خصّص عشر سنوات

تقديم

إنّ العنوان الذي اخترناه لهذا العدد الخاص من مجلّة "إسيمو"، وهو ša ṭudu idū لا يعود إلى هوى أكاديمي أو نزوة، بل إنّه يدخل ضمن منطق محدّد تماماً. منذ فترة ليست بالبعيدة أثار أصدقاء لنا انتباهنا إلى مضمون وشكل فقرة محددة من قصيدة كلكامش (III, 4-5) عندما عهد شيوخ أرُك إلى أنكيدو مهمّة حماية ملكهم، في الجدال الدائر حول الرحلة باتجاه غابة الأرز، حيث ذكّروا ملكهم أيضاً بالقيمة التي تفتح السبل، لأنّ ša ṭudu idu ibiršu iṣur "الذي يعرف الطريق يحمي صديقه".

فبالنسبة لرجل غربيّ، أستاذ في التعليم، تكون مسألة البحث والتدريس في موضوع الشرق الأدنى القديم، إنْ هي إلاّ البدء بمغامرة حيوية باتجاه المعرفة والنور المحفوظين في القدم في تلك الغابة الاسطورية للأرز. فالعلم المطبّق على الشرق القديم والذي أصبحت الاسطورة رمزاً له، يمثّل حقيقة صعبة لكنّها مثيرة، وغابة الأرز تستدعي في يومنا هذا مغامرة هؤلاء الذين تمكنوا عن طريق التاريخ أو الآثار أو اللغة في اسبانيا أن تزدهر العديد من المراكز والأعمال المعتبرة. ويرجع هذا الوضع إلى أنّه في الماضي، في أعوام الظلام والعوز، كان هناك من يعرف كيف يمهّد الطريق ويقاوم قلق العزلة، على الرغم من قلّة الامكانات والوسائل وقلّة الدعم والتشجيع لعملهم، مندفعين فقط بفكرة الحفاظ على المعرفة ونقلها إلى من سيتمكنون من بعثها في وقت لاحق. ومن بين هؤلاء الذين تمكنوا من السير قدماً معتمدين على إرادتهم وعبقريتهم والذين أصبحوا يشكلون جزءاً من سلسلة نموذجيّة، والتي مع "فرانثيسكو جارثيا أيوسو" و"أدولفو ربيادينيرا" وجارثيا دي سلبا إي فيكيروا" تصل إلى "بنخامين دي توديلا"، ومن بينهم أستاذ لنا جميعاً وهو البروفيسور السيّد "أنخيل ر. جاريدو هيريرو". ففي مسيرة نموذجية استمرّت لعقود في جامعة "كومبلوتنسي" بمدريد، سواء في "معهد أبحاث كونثلیار" أو في "معهد اللغات الكلاسيكية والشرقيّة سان خوستينو"، كان هو وحده دليل غابة الأرز، حيث مهّد الطريق وعلّمنا السبل، وهو الحارس الذي تخلّى لنا بالتدريج عن خيط "أريادنا". وكما كان يقول شيوخ أرُك، فهو الذي قام بحمايتنا ومنحنا خير ما عنده، لأنّه هو الوحيد الذي كان يعرف الطريق. ونحن الذين تعلمنا معه وعلى يديه نشكر له ذلك.انضمّ إلينا في هذا التكريم الكثير من الزملاء الذين قبلوا الدعوة برحابة صدر فشكراً لهم جميعاً من القلب، وشكراً لأستاذنا، لأنّه "وهو العارف بالسبل" قد دلّنا على الطريق المؤدية إلى غابة الأرز.

خواكين ماريا كوردوبا
جامعة أوتونوما بمدريد

خوان خوسي أيان
معهد سان خوستينو

ša ṭudu idū

دراسات عن الثقافات القديمة في الشرق ومصر

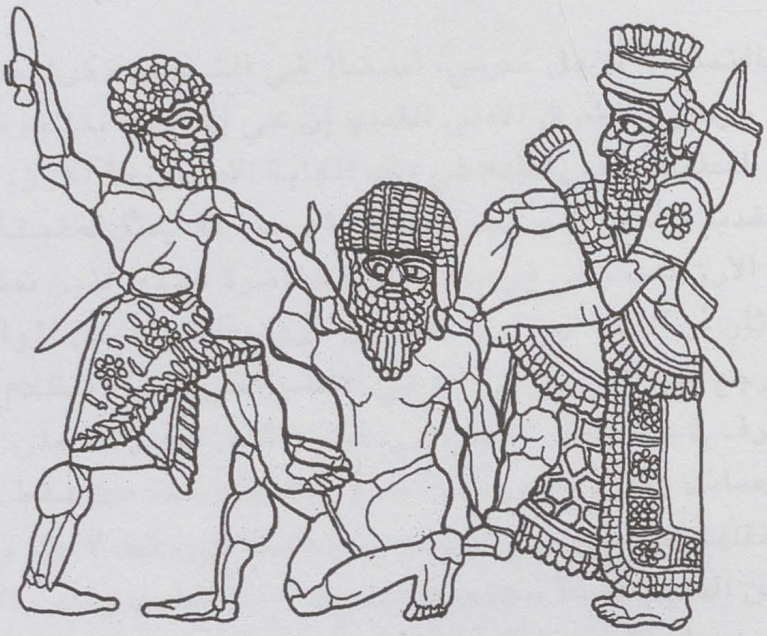

تكريم الأستاذ أنخيل ر. جاريّدو هيريّرو

مسؤولا النشر

خوان خوسي أيان وخواكين م. كوردوبا ثويلو

إسيمو

مجلّة عن الشّرق الأدنى ومصر في العصور القديمة

المُدير: خ.م. كوردوبا ثويلو

السكرتيرة: ك. سبيّا كويبا

التحرير التقني: خوسي مانويل هيرّيرو دي لا إكليسيا

السكرتير والمحرّر التقني للقسم العربي: وليد صالح الخليفة

السكرتير التقني: م. ك. ديل ثيرّو لينارس ومكرينا كريسپو ألباريث

لجنة التحرير: خ. م. كوردوبا، ل. جارثيّا إجليسياس، ر. خيمينث ثامويو، ك. سبيّا كويبا.

اللجنة العلميّة:

س. عبّود جاسم، شرخة، ف. بافي، لسّي، خ. ل. كُنجيّوس (مدريد). م. فرانجيباني (روما). م. جارثيا أنطون (مدريد). خ. جارثيّا ريثيو (ليون). أ. ر. جارّيدو هيرّيرو (مدريد). د. جورج يوحنّا (بغداد). أ. ق. حسن علي (بغداد). م. المقدسي (دمشق). ك. كيسلير (إرلانجن). س. مازوني (پيسا). خ. مالك (لندن). ح. دي موليناير (بروكسل). م. أ. موليرو پولو (لا لاگونا). أ. موراليس مونيث (مدريد). م. موتون (ليون). م. ث. پيريث ديي (مدريد). أ پيريث لارگاجا (ألكلا دي هنارس). خ. ر. بيريث أجينو (لندن). م. پوثو رودريجيث (مدريد). م. سعيد دميرجي (بغداد). ح. سائينث أوييرو (مدريد). ر. تيفنين (بروكسل). ي. هيرينك (جنت). هـ. پ. ويرپمان (توبنجن).

روح وفلسفة المجلّة:

إسيمو مجلّة سنويّة. أقسامها منفصلة ومخصصة والتي تمّ تحديدها في الأصل كموضوعات آشورية ومصريّة. وهي مفتوحة للدراسات ولاستنتاجات البحث المقسّمة في يومنا هذا ما بين التاريخ وعلم الآثار وفقه اللغات. وهي كذلك مفتوحة، وبسبب ايمانها بتداخل العلوم، على العلوم البحتة كالفيزياء والعلوم الطبيعية ضمن اطار الشرق الأدنى ومصر.

شروط النشر:

تنشر المجلّة المقالات التي تدخل ضمن الحقول المذكورة والمكتوبة بواحدة من اللغات: الاسبانية، الألمانيّة، الايطالية، الفرنسيّة، الانجليزية، العربية. وعلى المؤلفين الذين يكتبون مقالاتهم باللغة الاسبانية أن يضيفوا ملخصا للمقال باللغة الانجليزية لا يزيد على ٢٠ سطراً. أمّا الذين يكتبون المقالات باللغات الأخرى المارّ ذكرها، فعليهم أن يضمنوها ملخصاً باللغة الاسبانية لا يزيد عن ٢٠ سطراً. يتمّ ارسال المقالات إلى هيئة تحرير المجلّة، ويفضّل أن يكون طولها ضمن الحدود المعقولة ويُرجى ألاّ تتجاوز ٣٠ صفحة في كلّ الأحوال. ويُرسل النصّ مكتوباً على قرص للحاسوب، بالاضافة إلى نسخة مطبوعة على الورق. ويجب أن تكون الرسومات والصور أصلية وصالحة للنشر. وستكلّف هيئة التحرير في حينه عضو الهيئة العلمية الأكثر ملاءمة لتقييم البحث قبل الموافقة عليه للنشر. ويستلم المؤلفون عند نشر مقالاتهم خمساً وعشرين (فصلة) نسخة منفردة منها.

العنوان:

Universidad Autónoma de Madrid

Centro Superior de Estudios de

Asiriología y Egiptología

Departamento de Historia Antigu

Cantoblano E-28049 Madrid

Tel. 91 3974570, 91 39745 69

Fax. 91 3974123

صورة الغلاف هي لـ "ميغيل أنخيل نونيث بيانويبا". تمّ انجازها بالاعتماد على أثر ختم اسطوانيّ VA4251 المحفوظ في قسم الآثار الآسيوية بمتحف برلين، والذي يصوّر كلكامش وأنكيدو وهما يتصارعان مع همبابا.

إسيمو

مجلّة عن الشّرق الأدنى ومصر في العصور القديمة

المجلّد ٢ ١٩٩٩

ša ṭudu idū

دراسات عن الثقافات القديمة في الشرق ومصر

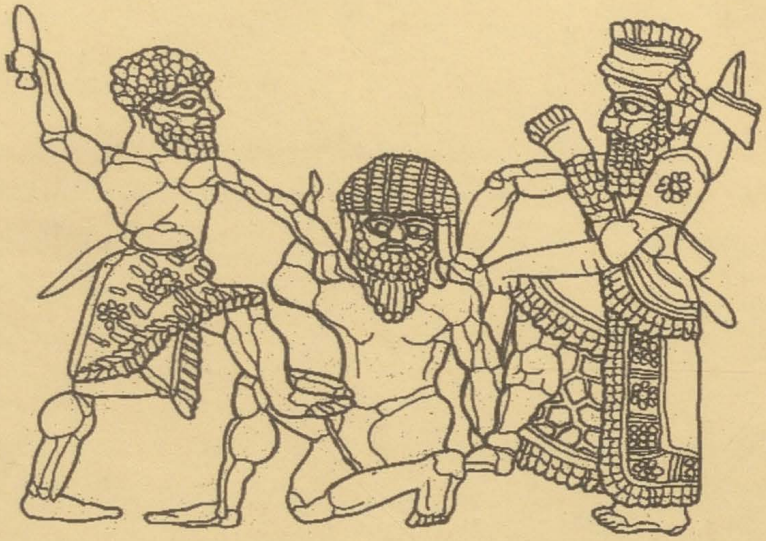

تكريم الأستاذ أنخيل ر. جارّيدو هيرّيرو

مسؤولا النشر

خوان خوسي أيان وخواكين م. كوردوبا ثويلو

معهد "سان خوستينو" الأبرشي لدراسات فقه اللغات الكلاسيكية والشرقيّة - مدريد

المركز الأعلى للدراسات الآشورية والمصريّة جامعة "أوتونوما" - مدريد